

تفسير البحر المحيط

@ 36 @ نفسها ، وموضحة صدق دعواي . وقرأ الجمهور : إني ، بكسر الهمزة ، على سبيل الإخبار ؛ وقرأت فرقة : بفتح الهمزة . والمعنى : لا تعلوا على الله من أجل أني آتيكم ، فهذا توبيخ لهم ، كما تقول : أتغضب إن قال لك الحق ؟ { وَإِنِّي نَسِيْتُ الْعَذَابَ } : أي استجرت ببربي وربكم أن تترجموني : كانوا قد توعدوه بالقتل ، فاستعاذ من ذلك . وقرء : عدت ، بالإدغام . قال قتادة وغيره : الرجم هنا بالحجارة . وقال ابن عباس ، وأبو صالح : بالشم ؛ وقول قتادة أظهر ، لأنه قد وقع منهم في حقه ألفاظ لا تناسب ؛ وهذه المعادة كانت قبل أن يخبره تعالى بقوله : { فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا } . . . { فَدَعَا رَبَّهُ } : أي مغلوب فانتصر ، { إِنَّ هَؤُلَاءِ } : لفظ تحقير لهم . وقرأ الجمهور : أن هؤلاء ، بفتح الهمزة ، أي بأن هؤلاء . وقرأ ابن أبي إسحاق ، وعيسى ، والحسن في رواية ، وزيد بن علي : بكسرها . { فَأَسْرَبَ بِعَبَادِي } : في الكلام حذف ، أي فانتقم منهم ، فقال له الله : أسر بعبادي ، وهم بنوا إسرائيل ومن آمن به من القبط . وقال الزمخشري : فيه وجهان : إضمار القول بعد الفاء ، فقال : أسر بعبادي ، وأن يكون جواباً بالشرط محذوف ؛ كأنه قيل : قال إن كان الأمر كما تقول ، فأسر بعبادي . انتهى . وكثيراً ما يجيز هذا الرجل حذف الشرط وإبقاء جوابه ، وهو لا يجوز إلا لدليل واضح ؛ كأن يتقدمه الأمر وما أشبهه مما ذكر في النحو ، على خلاف في ذلك . { إِنِّي نَسِيْتُ الْعَذَابَ } : أي يتبعكم فرعون وجنوده ، فتنجون ويغرق المتبعون . { وَاتَّخَذَ الرَّحْمَنُ رَهْوَاً } : قال ابن عباس : ساكناً كما أجراه . وقال مجاهد وعكرمة : يبساً من قوله : { فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً } . وقال الضحاك : دمثاً ليناً . وقال عكرمة : جدداً . وقال ابن زيد : سهلاً . وقال مجاهد أيضاً : منفرداً . قال قتادة : أراد موسى أن يضرب البحر بعصاه ، لما قطعه ، حتى يلتئم ؛ وخاف أن يتبعه فرعون ، فقيل : لمه هذا ؟ { إِنِّي نَسِيْتُ الْعَذَابَ } : أي فيه ، لأنهم إذا رأوه ساكناً على حالته حين دخل فيه موسى وبنوا إسرائيل ، أو مفتوحاً طريقاً يبساً ، دخلوا فيه ، فيطبقه الله عليهم . { كَمْ تَرَ كُؤُوباً } : أي كثيراً تركوا . { مِّنْ جَنَاحَاتِ وَأَعْيُونِ } : تقدم تفسيرهما في الشعراء . وقرأ الجمهور : { وَمَقَامٍ } ، بفتح الميم . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وابن جبير : أراد المقام . وقرأ ابن هرمز ، وقتادة ، وابن السميع ، ونافع : في رواية خارجة بضمها . قال قتادة : أراد المواضع الحسان من المجالس والمسكن وغيرها . { وَنَعْمَةً } ، بفتح النون : نضارة العيش ولذاذة الحياة . وقرأ أبو رجاء :

وَنَزَعْمَةً { ، بالنصب ، عطفاً على كم { كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ } . قرأ الجمهور :
بألف ، أي طيبي الأنفس وأصحاب فاكهة ، كلابن ، وتامر ، وأبو رجاء ، والحسن : بغير ألف .
والفكه يستعمل كثيراً في المستخف المستهزء ، فكأنهم كانوا مستخفين بشكل النعمة التي
كانوا فيها . وقال الجوهري : فكه الرجل ، بالكسر ، فهو فكه إذا كان مزاجاً ، والفكه
أيضاً الأشر . وقال القشيري : فاكهين : لاهين كذلك . وقال الزجاج : والمعنى : الأمر كذلك
، فيوقف على كذلك ؛ والكاف في موضع رفع خبر مبتدأ محذوف ؛ وقيل : الكاف في موضع نصب ،
أي يفعل فعلاً كذلك ، لمن يريد إهلاكه . وقال الكلبي : كذلك أفعل بمن عصاني . وقال
الحوفي : أهلكنا إهلاكاً ، وانتقمنا انتقاماً كذلك . وقال الزمخشري : الكاف منصوبة على
معنى : مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها ، { وَأَوْرَثْنَا قَوْمَآءَ الْآخِرِينَ } ليسوا
منهم ، وهم بنوا إسرائيل . كانوا مستعبدين في يد القبط ، فأهلك الله تعالى القبط على
أيديهم وأورثهم ملكهم . وقال قتادة ، وقال الحسن : إن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد
هلاك فرعون ، وضعف قول قتادة بأنه لم يرو في مشهور التواريخ أن بني إسرائيل رجعوا إلى
مصر في شيء من ذلك الزمان ، ولا ملكوها قط ؛ إلا أن يريد قتادة أنهم ورثوا نوعها في بلاد
الشام . انتهى . ولا اعتبار بالتواريخ ، فالكذب فيها كثير ، وكلام الله صدق . قال تعالى في
سورة الشعراء : { كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَا هَارُونَ إِسْرَائِيلَ } وقيل : قوماً آخرين
ممن ملك مصر بعد القبط من غير بني إسرائيل . { فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ
وَالْأَرْضُ } : استعارة لتحقير أمرهم ، وأنه لم يتغير عن هلاكهم شيء . ويقال في التعظيم
: بكت عليه السماء والأرض ، وبكته الريح ، وأظلمت له الشمس . وقال زيد بن مفرغ :